
صانعُ الوهمِ
مروة جمال

قصة قصيرة

بقلم:
مروة جمال

تصميم:
منة القاضى



مولاي.. مليكي.. سلطان كياني
الليلة دعني أخذك لعالم من السحر.. الفتنة..
الخيال.. الروعة
نغوص بعالم من الهذيان مع صانع الوهم

المسرح ممتلئ كعادته, والعرض على وشك البدء.. يتسللون بحرص تحت الأضواء الخافتة ويتنقون مقاعدهم بعناية, يتجولون بأبصارهم في الفضاء القاتم حولهم بانبهار فهم في حضرة صانع الوهم..

موسيقاه حادة, وحضوره طاغ, وابتسامته قاتلة, ونظرته تهاوت أمامها حصون, وقبضته ضرب من الجنون, والانجذاب نحوه خطوة أولى وأخيرة نحو دنيا الهذيان..

ومع كل ليلة تسقط إمرأة في بركان غضب لا ينضب, تخطو لعالمه حرة ولا تخرج, تظل بمحرابه جارية, متمايلة, متراقصة بين يديه دون أن تدرك أنها دمية العرض!

تنحنحت لتنبهه بموعد الجمهور, استدار لها بحدة ورمقها بنظرة حاسمة زادت من ارتجاف قلبها, لا تعي ماذا أصابها منذ قابلت هذا الرجل, خرت صريعة ببحر عينان لم تدرك من ملامحه سواهما , كيف تخطو بذعون خلف رجل يواري نصف ملامحه خلف قناع!
أم أنها عاشقة للقناع..
ومع تنحي الستار تعالى التصفيق والتهليل خاصة مع ظهوره, طلته قطعت الأنفاس وتمكنت من نبضات القلوب,

ابتسم بثقة وبدأ أول عروضه فخرجت من بين قبضتيه زهور أرجوانية وطيور مترنمة ونسيج راقص وضوء ساطع إحتواه بصندوقه القاتم قبل أن يُذهب بأبصارهم..

ولم تمر دقائق حتى تعالى صراخهم خوفاً من شراسة نمر كاد أن يسقط فوق رؤوسهم ومرور ثعبان بطول الدهر تحت أقدامهم وذعر إمرأة تحت نصل سيفه دون دماء ورهبة رجل أمام سطوة قبضة حملته فوق وسادة من الهواء .. وتلك جميعها مقدمات فبطلة عرضه ما زالت قابعة خلف الكواليس تنتظر بشغف موعدها مع تعويذته السحرية لتغوص بعالم

من جنون الوهم..

إبتسمت بإرتجاف وتعالت صيحات الجماهير
وهو يلتف حولها يرمقها بمكر, كانت جميلة
فوجهها مزين بضوء القمر وخصلاتها
مشبعة بحمرة الشفق, وشفتاها على بعد
دقائق من تلقي قبلة العبودية ..
نسيج أسود أحاط بكلاهما.. التف حول
جسديهما كساتر جذب فضول الجميع
وفجأة... سقط ليبصروه وحيداً دونها, تعالت
الأصوات بين انبهار وخوف وتساؤل ورمقهم
هو برزانه ثم أخرج صندوقه القاتم ومن بين
يديه خرجت امرأته ناعمة.. متمايلة على
أنغام ساحرة.. مغوية ولكن بحجم

زهرة جارديانيا!

لعنة.. أبرمها بعقد أبدي مع عالم الجنيات,
قدمن له السحر.. القوة.. الجبروت.. الجاذبية
التي ألقت تحت قدميه كل ليلة خليلة.. مملوكة
منعثرة ببحر أوهام من صنعه, لحظات تكون
فيها أمام الجموعُ راقصة وبخيالها مبحرة
بعشق ليس له مثيل, تخطو لعالمه راشدة
وتخرج من صندوقه ضائعة بين أمواج الهذيان
.ولكن ميثاق المشعوذات خادع.. ماكر..
مخطوط بأحبار الدهاء
فدوام الحال من المحال وحتماً ستأتي من
تخضع بداخله عنقوان الجبال وسينتهي كل
شيء عندما يسقط القناع!

وتمر ليالي بين وهم يسحر به لب جمهوره
ويسلب به عقل أنثى تمضي ليلتها جارية

لرغباته.. كان يتحضر بغرفته من أجل عرض جديد ومملوكته الجديدة ترمقه بانبهار.. يبدو كرجل خرافي هارب من عالم مشعوذ.. فاتن.. خلاب

حانت اللحظة.. الجمهور أمامه منقطع الأنفاس وهو على وشك تقديم آخر فقراته وأهمها على الإطلاق..

الدمية الراقصة

كان يتقدم نحوهم بابتسامة واثقة تطل بمكر من خلف قناعه القاتم ودميته متأهبه لإشارة منه من أجل بدأ العرض.. ولكن.. لم تتحرك سبابته أمره في اتجاهها ولم يتوجه ببصره كالمعتاد نحوها فصقلتيه الآن مرتكزتان باتجاه آخر بين جمهوره,

يكاد يستمع لدقات قلبها المتقافزة عندما التقطت نظرته نحوها وشفتيها اللتان تمكن منهما الإرتجاف وعيناها برونق الدجنة اللامع وخصلاتها المسترسلة بانسياب ليلي فاتن .
إمرأة ليس لها مثيل سوى بعالم الأحلام ولن يكون لها مسكن سوى بين ذراعي صانع الوهم..
وبتجبر من ظن أنه اعتاد الامتلاك خطا نحوها في سابقة لم يقترفها من قبل, فدمية الليلة ستكون من بين الجمهور!!

منذ أن دلفت لقاعة العرض تمكن منها الارتجاف, المكان قاتم.. مخيف, قبلة باردة لثمت أناملها,

رمقته ببرود وتوجهت معه مرغمة نحو مقعدها , رجل المستقبل الذي يسعى بكل ما أوتي من قوة لشراءها والمسمى زوجة, استقرت بينه وبين أبيها, ثغران لا يتوقفان عن لغو المال , أسندت رأسها في يأس متمنية إنتهاء العرض من قبل بدأه.. لينها تستطيع الهروب, الفرار نحو عالمها الصامت حيث لا يوجد سوى ضوء القمر وصفير الرياح..

وبعد لحظات من السكون.. حضور طاغ ورجل ظهر من عالم الجنون.

ولكن... هذا الجنون من السحر المغرائي أمام عيناها لا يوازي تلك الرهبة التي إجتاحتها عندما تلقت سهام نظراته, تهاوى قلبها اضطراباً وتصلب جسدها أمام قبضته المصدودة نحوها,

من بين رجلين إنتزعتها , نعم لم يكن سوى إختطاف تم بإرادتها, وجدت نفسها بين يديه مذعونة , راضخة لأوامره , ممتثلة لرغباته, و.....

مستكينة بعالم يحمل على جوانحه متعة قبلاته!!

ما بال تلك الدجنة تحمل بين طياتها سحر ضوء قمر خلاب, وما سر هذا السكون الذي لم يكن يحمل سوى صوت أنفاسه وهذا المجون الذي أبحرت بداخله دون حساب تاركة رقة شفتيها تحت سطوة غريب عنها, رجل اقتحم عالمها الهادئ دون مقدمات وفقط بين ذراعيه شعرت أنها... انثى

عبث, ما حدث ويحدث الآن لم يكن سوى درب
من دروب العبث, درب مظلم اتخذه بإرادته
مستنداً على جبروت ظن أنه أبدي..
تعددت النساء داخل عالمه, تهاوين كل ليلة
تحت دجنة دثاره وسقطن في بحر وهمه
جاريات.. عابثات.. مملوكات حتى يزهد
بريقهن ومغويات حتى يمل طلتهن. ولكن تلك
الزهرة بين ذراعيه لها مذاق مختلف عن كل
ما اختبره من قبل, إنها ليست كأحد الفواكه
التي تمل عذوبة مذاقها مع مرور الوقت. لا
هي زهرة تحمل بين أوراقها مختلف الألوان
ورحيقها شهد بعبق فتان.. مهلك إذا تجاوز
الحد وتجرأ أحدهم على اختبار مذاقه. وبعد
فوات الأوان أيقن ما لم يكن بالحسبان,

سقط نسيج السحر المتراقص حول جسديهما
ليجدها جمهوره أنثى هائمة بين ذراعيه
مستسلمة لقبلة سحر اجتاح تلك الطرة....
كلاهما!

همهمة وزمجرة غاضبة أطلقها الحشود,
تسمر أبيها من هول المفاجئة وانتفض
عاشقها ساحباً جسدها بتملك خانق من بين
ذراعيه وفي ثوان أصبحت بعيدة عن مرأى
عيناه وظل هو واجماً يستقبل حنق النظرات
فالمشهد لم يكن بين ساحر ودمية العرض
المعتادة بل لقاء بين عاشقين!

ماذا حدث! هل فقدت قبلته الملعونة تأثيرها , صك الملكية الذي إعتاد طباعته على شفاه لم تعرف يوماً طريقاً لقلبه, يتبدلن ويتناولين ليلة تلو أخرى دون أن يتركن أثراً بوجدانه, هو ملك وهن مجرد عابثات.. جواري مدعونات رهن سبابته ولكن هي.. تلك المرتجفة بين ذراعيه لم تتهاوى تحت سطوة قبلته, لم ينتهي بها الأمر متمايلة بين جدران سجنه الأسود.. لم ينالها أنثى كسابقيها , فلتت بجنون..

لحظات تبدل فيها عاطفه من حال إلى حال , إعتاد تملك الجسد دون أن يبالي عقله بصاحبته والآن هرب الجسد وتمكنت صاحبته منه حتى النخاع

منذ كارثة المسرح كما إعتاد أبيها تسميتها وهي حبيسة تلك الجدران القاتمة كلون عاطفها, لا تبصر الضوء سوى ليلاً من خلال همس قمر غير مكتمل يحمل ذكراه, رجل اجتاح عاطفها دون هوادة , لثم شفتيها بقسوة ناعمة كلما تذكرتها تمكنت منها الإبتسامة رغماً عنها , ماذا يحدث؟ هل أصاب قلبها العذري ضرب من الجنون أم ربما المجون.. من يكون, لا تعلم عنه سوى أنه صانع الوهم!!

هل هذا هو حالها الآن, وهم من صنع يديه, صخب بحر متلاطم الأمواج ليس له وجود سوى بأحلام يقظتها الدائمة.. بخطوات مرتجفة اقتربت من شرفتها كعادتها كل ليلة تناجي القمر

وكأنه وسيلة اتصالها به, تذرف عبرات شوق
لا تدرك فحواه وكأن لعنتها أن تعشق سراباً
مر بعاطها بليلة واحدة..
أسوار عالية وجدران أسمنتية.. هل يظنون
أن هذا العبث سينقذك من طغيان صانع
الوهم
إنتفضت وكادت أن تقتلها دقات قلبها
المتسارعة , كان هو بابتسامته المهلكة..
تمتمت بعبارات مرتجفة : كيف جئت إلى هنا
اقترب منها بثقة!
اه لو تعلم أن تلك الثقة كانت مجرد دثار
قضى أياماً وليالي في حياكته من أجل أن
يظهر أمامها بتلك الليلة, لو تعلم البركان
المتفجر داخل قلبه وعقله من تلك الزهرة
التي إقتحمت عقله دون هوادة,

السبل التي طرقها ليتخلص من تملكها لأفكاره
وكأنها رغماً عنها أصبحة تميمة ثأر كل
النساء, لو تعلم أي صراخ وأي غضب إجتاحه
عندما تذوق لعنة سحره, نعم انقلب السحر
على الساحر ولا سبيل للتخلص من سطوتها
على عقله سوى برحيلها عن عالم الأحياء
على يديه!
نعم فميثاق المشعوذات مظلم.. ملعون..
مخطوط بحمرة الدماء
ودوام الحال من المحال وهالك من يسلك
دروب المشعوذين, والاختيار واحد دون اثنان,
أكون أو لا أكون.. هو اختيار إذاً.. ملك بجبروت
الجان أو مجرد إنسان..

. أ ستكون هي القربان أم تحت قدميها
سيخلع تميمة سطوته وقناع قوته ليصبح
مجرد عاشق دون سلطان
الخطوة تحمل من الأفكار أطنان, وعيناها
تحمل من البريق ما تهاوت أمامه صلابة رجل
نحتتها قسوة الأزمان
تراجعت خطوة للوراء بل خطوات مبتعدة
عنه برهبة,
تابع:
- مني تخافين!
همهمت بعذوبة:
- من أنت؟!
هو:
- ألا تعلمين؟!

هي:
يطلقون عليك صانع الوهم -
هو:
- وأنتِ بما تحكمين؟
هي:
- هل هي تعويذة تلك التي ألقيتها علي؟!
هو:
- نعم ولكنها لم تجدي؟!
هي:
- كيف؟ فقد تبدل حالي رغماً عني؟!
هو:
بماذا تهذين؟! -
هي:
- هو حقاً هذيان.. فلم يتمكن من عقلي
قبلك إنسان؟!

هو:

- وبماذا تحلمين؟!

تمكنت حمرة الخجل من وجنتيها وإستدارت مولية ظهرها لسطوة نظراته ورغما عنها تمكن منه عبق جدائل الدجنة المسترسلة حتى خصرها, اقترب منها وهمس بالقرب من أذنيها:

- عاشقة إذن

هي:

- محال

هو:

- أتهوين الجدال

هي:

- كيف أعشق رجل هو عني غريب

هو:

- وهل للعشق قيود

هي:

- عشق اللحظات هو فقط من صنع المخطوطات

هو:

- سطور الحكايات هي واقع بسابق الأزمان

هي:

- لا.. هي لهو من سرد الإنسان

هو:

- عنيدة أنتي أيتها الأنثى هل هناك سبيل لترويض عقلك المريد

هي:

- ابتعد عني

هو:

- صدقاً ألا تودين قبلة أخرى

هي بارتجاف:

- لا أريد

هو:

- كاذبة

هي:

- مغرور

هو:

- فاتنة

وقبل أن تجيب غابت بين غياهب قبلة أخرى قبلة أرادتها هي تلك المرة.. قبلة أسقطت القناع !

قبلة أوجدت عاشق وأسقطت.. صانع الوهم..

تمت

مروة جمال